

روح المعاني

وأخرج أبو حاتم عن السدي أن الملك قال : لأتخذن عند هؤلاء القوم الصالحين مسجدا فلأعبدن
□ تعالى فيه حتى أموت وعن الحسن أنه اتخذ ليصلي فيه أصحاب الكهف إذا استيقظوا وهذا
مبني على أنهم لم يموتوا بل ناموا كما ناموا أولا وإليه ذهب بعضهم بل قيل إنهم لا يموتون
حتى يظهر المهدي ويكونوا من أنصاره ولا معول على ذلك وهو عندي أشبه شيء بالخرافات ثم لا
يخفى أنه على القول بأن الطائفة الأولى الطالبة لبناء البنيان عليهم إذا كانت كافرة لم
تكن غاية الإعتبار متحققة في جميع المعثرين ولا يتعين كون ربهم أعلم بهم مساقا لتعظيم أمر
أصحاب الكهف ولعل تلك الطائفة لم تتحقق حالهم وأنهم ناموا تلك المدة ثم بعثوا فطلبت
انطماس الكهف عليهم وأحالت أمرهم إلى ربهم سبحانه و□ تعالى أعلم بحقيقة الحال وقرأ
الحسن وعيسى الثقفي غلبوا بضم الغين وكسر اللام على أن الفعل مبني للمفعول ووجه بذلك
بأن طائفة من المؤمنين المعثرين أرادت أن لا يبني عليهم شيء ولا يعترض لموضعهم وطائفة
أخرى منهم أرادت البناء وأن لا يطمس الكهف فلم يمكن للطائفة الأولى منعها ووجدت نفسها
مغلوبة فقالت : إن كان بنيان ولا بد فلنتخذن عليهم مسجدا .

هذا واستدل بالآية على جواز البناء على قبور الصالحاء واتخاذ مسجد عليها وجواز الصلاة في
ذلك وممن ذكر ذلك الشهاب الخفاجي في حواشيه على البيضاوي وهو قول باطل عاطل فاسد كاسد
فقد روى أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه عن ابن عباس قال : قال رسول □
لعن □ تعالى زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج ومسلم ألا وإن من كان قبلكم
كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد فإني أنهاكم عن ذلك وأحمد عن أسامة وهو والشيخان
والنسائي عن عائشة ومسلم عن أبي هريرة لعن □ تعالى اليهود والنصارى اتخذوا قبور
أنبيائهم مساجد وأحمد والشيخان والنسائي إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا
على قبره مسجدا وصوروا فيه تلك الصور أولئك شرار الخلق يوم القيامة وأحمد والطبراني إن
من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء ومن يتخذ القبور مساجد وعبد الرزاق من شرار
أمتي من يتخذ القبور مساجد وأيضا كانت بنو إسرائيل اتخذوا القبور مساجد فلعنهم □
تعالى إلى غير ذلك من الأخبار الصحيحة والآثار الصريحة .

وذكر ابن حجر في الزواج أن وقع في كلام بعض الشافعية عند اتخاذ القبور مساجد
والصلاة إليها واستلامها والطواف بها ونحو ذلك من الكبائر وكأنه أخذ ذلك مما ذكر من
الأحاديث ووجه اتخاذ القبر مسجدا واضح لأنه E لعن من فعل ذلك في قبور الأنبياء عليهم
السلام وجعل من فعل ذلك بقبور الصالحاء شرار الخلق عند □ تعالى يوم القيامة ففيه تحذير

لنا واتخاذ القبر مسجدا معناه الصلاة عليه أو إليه وحينئذ يكون قوله والصلاة إليها مكررا
إلا أن يراد باتخاذها مساجد الصلاة عليها فقط نعم إنما يتجه هذا الأخذ إن كان القبر قبر
معظم من نبي أو ولي كما أشارت إليه رواية إذا كان فيهم الرجل الصالح ومن ثم قال
أصحابنا : تحرم الصلاة إلى قبور الأنبياء والأولياء تبركا وإعظاما فاشتراطوا شيئين أن يكون
قبر معظم وأن يقصد الصلاة إليها ومثل الصلاة عليه والتبرك والإعظام وكون هذا الفعل كبيرة
ظاهر من الأحاديث وكأنه قاس عليه كل تعظيم للقبر كإيقاد السرج عليه تعظيما له وتبركا به
والطواف به كذلك وهو أخذ غير بعيد سيما وقد صرح في بعض الأحاديث المذكورة بلعن من اتخذ
على القبر سراجا فيحمل قول الأصحاب بكراهة ذلك على ما إذا يقصد به تعظيما وتبركا بذي
القبر